الأدب الحديث

المحاضرة الرابعة:

بعث الشعر و إحياء أنماطه التقليدي

(البارودي نموذجا)

1- حب عميق للأدب القديم و محاكاة ناجحة.

أعلن البارودي في مقدمة ديوانه أنه يحاكي الشعراء الماضين ، و يعارضهم فيما ينظم و وصف الرافضين لهذه الطريقة بالجهل والغفلة فقال :

تكلمت كالماصين قبلي بما جرت ** به عادة الإنسان أن يتكلما

فلا يعتمدني بالإساءة غافل ** فلا بد لابن الأيك أن يترنما

و على نحو ما انصرفت جماعة « رونسار » الكلاسيكية الى الأدب اليوناني ، فرضت على نفسها تقديسه و حفظه و محاكاته . انصرف البارودي الى الشعر العربي القديم ، وعكف على دراسته و خرج بأفضل نماذج جمعها في كتابه: « مختارات البارودي » ، يحذوه حب عميق لهذا الأدب، و أمل سعيد بمحاكاته .

انكب البارودي على ينابيع الأدب القديم ، الجاهلي و الأموي و العباسي ، و لم يتركها إلا بعد أن تمثلها و أشربتها روحه ، فصارت جزءا لا يتجزأ من روحه و فنه.

2 – محاكاة القدماء و تقليدهم.

أخذ يصوغ الشعر على طرائق العباسيين و من سبقهم .و اتخذ تقليدهم مذهبا أعلن عنه صراحة . و يعارض النابهين منهم مثل النابغة و امرئ القيس و بشار و أبي نواس و المتنبي و أبي فراس . و الشريف الرضي.

و راح ينسج الشعر على غرارهم محاولا مجاراتهم أو بذهم في ديباجته التعبيرية و أغراضه المعنوية، كان كثيرا ما ينتقل من بيئتة المصرية الحديثة الى بيئة بدوية جاهلية ، ثم كان يجعل الغزل و اللهو بالخمر و النساء ، و الحماسة و الفخر أغراضا له في قصيدته الواحدة على طراز من حمل نفسه على معارضتهم. و كانت ذاكرته القوية تواتيه فيما يعارضهم حتى ليختلط عليك الأمر حين تحاول التمييز بين شعره و شعرهم.فما نظرية الشعرعنده ؟

و أية فلسفة تلك التي يقوم عليها فنه؟

3 – نظرية الشعر تقوم على فلسفة عقلية اتباعية:

حدد نظرية الشعر عنده في مقدمة الديوان في قوله:« و خير الشعر ما ائتلفت ألفاظه و ائتلفت معانيه.و كان قريب المأخذ ، بعيد المرمى ، سليما من وصمة التكلف ، برئياً من عشوة التعسف ، غنيا عن مراجعة الفكرة .[1]..» .

و ليس هذا التعريف سوى صدى للكلمات النقدية التي روجها نقاد العصر العباسي و هي تتطابق مع «مذهب الطبع»الذي وصف به «الآمدي» شعر البحتري حين قال:

«...فإن كنت ...ممن يفضل سهل الكلام و قريبه ، و يؤثر صحة السبك و حسن العبارة ، و حلو اللفظ . فالبحتري أشعر عندك..».

و يكاد مذهب الطبع هذا يستحوذ على احترام أدباء العرب في ذلك الوقت. و تتضح أبعاد الفلسفة العقلية التي تحدد نظرية «عمود الشعر» عند العرب في قول المرزوقي: « شرف المعنى و صحته ، و جزالة اللفظ و استقامته و الإصابة في الوصف ، و المقاربة في التشبيه ، و التحام أجزاء النظم و التئامها مع تخير من لذيذ الوزن و مناسبة المستعار منه للمستعار له، و مشاكلة اللفظ للمعنى ، و شدة اقتضائهما للقافية .فهذه سبعة أبواب هي عمود الشعر».

و عمود الشعر هذا لا يتنافى و لا يناقض صفات الشعر الجيد التي رددها البارودي في مقدمة ديوانه بل التشابه بينهما واضح. و هنا تتضح قضية التقارب بين خصائص الكلاسيكية الغربية القائمة على احترام القواعد المرتكزة على الكُتَّاب القدماء ، و بين نظرية الكلاسيكية العربية القائمة على فلسفة عقلية لها قواعد مرتكزة على كتَّاب العرب القدماء .

[1] - نسيب نشاوي . مدخل الى دراسة المدارس الأدبية ص 50. دمشق 1980.

4 – الفن تهذيب و صقل و تنقية :

آمن البارودي بأن الفن تهذيب و صقل و جهد متصل و تحسين مستمر و أن الطبع وحده لا يكفي ، يقول :

لم تبن قافية فيه على خلل ** كلا و لم تختلف في وصفها الجمل

فلا سناد و لا حشوة و لا قلق ** ولا سقوط و لا سهو و لا علل

و لعله في هذا يذكرنا بمبدأ المدرسة الكلاسيكية الغربية و الذي يعلي أهمية الشكل ...و لو على حساب المضمون.

5 – بعث الشعر و إحياء أنماطه التقليدية بداية تأسيس للمدرسة الكلاسيكية:

استطاع البارودي بفلسفته و بقدسية الفن أن يخر من التكلف و الى رحابة اللغة الشعرية في عصورها الأولى. و استطاع أن يعبر داخل الإطار الشعري القديم عن أهم المواقف الانفعالية التي اجتاحت كيانه..و بسبب هذا كان تأثيره عظيما في المدارس الشعرية التالية له . فتخذه إماما لهم كل من أحمد شوقي و حافظ و الرافعي و الرصافي وغيرهم كثيرون على تباين بينم في حظ كل منهم من التجديد و التأثر بثقافة الغرب و مذاهبه. و يقول الدسوقي انه « لا يزال كثيرون في البلاد العربية بعامة ،و في مصر بخاصة يحنون الى ديباجة البارودي و موسيقى مدرسته... و حسب البارودي فخراً أن أحيا الشعر بعد مواته على غير مثال سبق من معاصريه [2]».

6 – أولا : التقليد الأسلوبي:

نلمح أثرا للشعر الجاهلي في شعره من كلمات و عبارات و معارضات و تشبيهات.

ا – مظاهر الصياغة اللفظية القديمة .

فهذه ألفاظ امرئ القيس تعيد نفسها في شعر البارودي إذ يقول:

بكى صاحبي لما الحرب أقبلت ** بأبنائها، و اليوم أغبر كالح

فقلت:تعلّم إنما هي خطة ** يطول بها مجد ، و تُخشى فضائح

[2] - المرجع نفسه ص52.

و هذه الصياغة اللفظية معروفة مستمدة من قول امريء القيس :

بكى صاحبي لما رأى الدرب دونه ** و أيقن أنا لاحقان يقيصرا

فقلت له :لا تبك عينك إنما ** نحاول ملكا أو نموت فنعذرا

و امرؤ القيس الذي قيد بحصانه الأوابد في معلقته ، وسبق الآخرين الى هذا المعنى ، يعيد نفسه في أبيات البارودي في قوله :

يمر بالوحش صرعى في مكامنها ** فما تبين له شدا فتنخذل

زرق حوافره ، سود نواظره ** خضر جحافله في خلقه ميل

و يظن أن العناصر الجمالية في شعر عمر بن أبى ربيعة كامنة في ألفاظه و تراكيبه و موسيقاه الشعرية حين يقول بطريقته الحوارية الخاصة:

كلما قلت : متى ميعادنا ؟ ** ضحكت هند و قالت: بعد غد

فيعيد صياغة هذه العناصر الأسلوبية في معنى جديد قائلا في سجنه :

كلما درت لأقضي حاجة ** قالت الظلمة : مهلا لا تدر

ب – نفحات بلاغية قديمة:

فالصور البيانية و المجازية ، و هذه الصنعة البديعية المتكلفة ، تعيد الى الأذهان مذهب أبى تمام في تجديده لأسلوب الصياغة القائم على الصنعة العقلية و الصنعة اللفظية. و لننظر الى إحدى صوره المتكلفة التي حوت عددا من المحسنات البديعية في قوله:

وصالك لي هجر ، وهجرك لي وصل ** فزدني صدودا مااستطعت و لا تألو

إذا كان قربي منك بعدا عن المنى ** فلا حمت اللقيا و لا اجتمع الشمل

ثانيا: التقليد المعنوي :

ا – الأغراض التقليدية:

لم يخرج البارودي في معظم ما نظم عن الأغراض الشعرية المعروفة في الأدب القديم كالوصف و المدح والفخر(مع المبالغة فيه) و الرثاء و الغزل (الوقوف على الأطلال) و الحكمة و الزهد و الهجاء.

ا– 1 – الوقوف على الأطلال.

في هذه الأغراض يحافظ البارودي على هيكل القصيدة القديمة ، فيفتتح قصائده بالوقوف على الأطلال و بكاء الدمن و الآثار ، يبكي و يستبكي ، و ينتقل من غرض الى آخر كالغزل أو الوصف ثم ينتهي الى غرضه العام الأساسي.

و من هنا جاء شعره جاهلي الروح و المعنى و الوجه و الزي ، لا يمت الى عصره و عصر الحضارة بصلة ، حيث يقول :

ألا حي من أسماء رسم المنازل ** و إن هي لم ترجع بيانا لسائل

خلاء تعفتها الروامس والتقت ** عليها أهاضيب الغيوم الحوافل

فلأياً عرفت الدار بعد ترسم ** أراني بها ما كان بالأمس شاغلي

تمر بنا رعيان كل قبيلة ** بعيدا و لم يسمع لنا بطوائل

له ولع خاص بقصيدة أبي فراس الحمداني ذات المطلع ، " أراك عصي الدمع شيمتك الصبر" ، و استمع اليه يعارضها ، يقول :

فكيف يعيب الناس أمري و ليس لي ** و لا لامريء في الحب نهي و لا أمر

ا –2 – مبالغات في الفخر:

فخره يذكرنا بالمتنبي و بأبي فراس ، حيث يتطرق الى التباهي بالخلال الكريمة و الجلد و الشجاعة ، ويبين أنه محسود المكانة عالي الهمة يصارع المقادير :

علي طلاب العز من مستقره ** و لا ذنب لي إن عارضتني المقادر

فماذا عسى الأعداء أن يتقولوا ** عليّ و عرضي ناصح الجيب وافر

فلي في مراد الفضل خير مغبة ** إذا شان حبًّا بالخيانة ذاكر

ملكت عقاب الملك و هي كسيرة ** و غادرتها في وكرها و هي طائر

فلا غرو أن حزت المكارم عاريا ** فقد يشهد السيف الوغى و هو حاسر

أنا المرء لا يثنيه عن درك العلا ** نعيم و لا تعدو عليه المفاقر

قؤول و أحلام الرجال عوازب ** صؤول و أفواه المنأيا فواغر

و قوله هذا صورة في لفظه و معناه لقول إبي فراس:

علي طلاب العز من مستقره ** و لا ذنب لي إن حاربتني المطالب

و تبدو مبالغاته حين يبين أنه لا يتزعزع أمام صروف الدهر و نوازله

و لا يبتسم لرغد العيش و إقبال الدنيا في قوله :

فلا أنا إن أدناني الدهر باسم ** و لا أنا إن أقصاني العدم باسر

ا – 3 – انتزاع المعاني من الأفكار القديمة .

يظهر لنا البارودي في ديوانه أفكارا قديمة ترددت في أشعار أبي نواس و المتنبي و غيرهما ، فالشاعر يأخذ كثيرا من معاني الوصف و الحكمة و الغزل المتداولة في شعر الفحول السابقين ، نذكر في هذا الصدد مثالا لذلك من شعر المتنبي و هو يصف الحمى و ما يرافقها من آلام نفسية ، يقول :

يقول لي الطبيب أكلت شيئا ** و داؤك في شرابك و الطعام

و ما في طبّه أنّي جواد ** أضر بجسمه طول الجمام

فيورد البارودي ذلك في ديوانه و يعبر عنها ، يقول :

فدع التكهن يا طيب فإنما ** دائي الهوى ، و لكل نفس داء

ألم الصبابة لذة تحيا بها ** نفسي و دائي لو علمت دواء

و لشكوى الزمان الطاغية على شعر المتنبي أصداء واضحة تتردد في ديوان البارودي ، فكثيرا ما نعثر فيه على زفرات الألم المحموم ممزوجة بعبير الفخر الصامد أمام نوازل الدهر و صروفه و ما قصيدته :

رضيت من الدنيا بما لا أوده ** و أي امريء يقوى على الدهر زنده

و ما أبت بالحرمان إلا لأنني ** «أود من الأيام ما لا توده»

إلا معارضة و تضمين لقصيدة المتنبي التي مطلعها :

«أود من الأيام ما لا توده» ** و اشكو إليها بيننا و هي جنده

ا – 4 – معارضة الشعراء القدامي .

كما يعمد المصورون في استكمال ثقافتهم الفنية الى لوحات الأساتذة القدماء في المتاحف ، فيروضون ريشاتهم على محاكاتها ، كذلك نجد في عهد النهضة كبار الشعراء الذين جددوا فن الشعر و أحيوا عموده القديم و بعثوا لفظه النبيل و تركيبه الفصيح يعمدون الى بعض القصائد القديمة المشهورة، فيعارضونها و ينظمون في وزنها و على رويها و قد عمد البارودي الى ذلك مرات، و في هذا يتبين لنا مدى نسجه على منوال القدماء ، كما فعل في رائية أبي نواس المشهورة في المدح ، يقول :

أجارة بيتنا أبوك غيور ** و ميسور ما يرجى لديك عسير

فيقول مستهلا :؛

أبى الشوق إلا أن يحن ضمير ** و كل مشوق بالحنين جدير

و يقول الشريف الرضي :

لغير العلا مني القلا و التجنب ** و لولا العلا ما كنت في الحب أرغب

و يعارضه البارودي :

سواي بتحنان الأغاريد يطرب ** و غيري باللذات يلهو و يعجب

و يقول أبو فراس :

أراك عصي الدمع شيمتك الصبر ** أما للهوى نهي عليك و لا أمر

فقال البارودي في الوزن و الروي :

طربت و عادتني المخيلة و السكر * * و أصبحت لا يلوي بشيمتي الزجر

لقد أوردنا مطالع هذه القصائد لنبرز أن هدف الشعر في بداية النهضة هو معارضة الفحول الأقدمين و مباراتهم بالنسج على منوالهم و عدم التقصير عن مداهم.

7 – روائع شعرية رفيعة :

هذا لا يمنع من أن نجد للبارودي فرائد شعرية رفيعة ، سكب فيها عواطفه على نحو صادق عميق ، نابض بالحياة ، و فيها انطلقت ألفاظه و تعابيره ضاجة بالموسيقى و لاسيما الحزينة الوقع المؤلمة الرنين ، ففي رائيته التي يصف فيها سجنه الأول يقول :

شفني وجدي و أبلاني السهر ** و تغشتني سمادير الكدر

فسواد الليل ما أن ينقضي ** و بياض الصبح ما أن ينتظر

لا أنيس يسمع الشكوى ** و لا خبر يأتي و لا طيف يمر

بين حيطان و باب موصد ** كلما حركه السجان صر

الى أن يقول :

فاصبري يا نفس حتى تظفري ** إن حسن الصبر مفتاح الظفر

هي أنفاس تقضى و الفتى ** – حيث ما كان – أسير للقدر

و للبارودي أبيات سارت مسرى المثل ، و من ذلك قوله في الحكمة :

إذا المرء لم يدفع يد الجور إن سطت * * عليه فلا يأسف إذا ضاع مجده

و أقتل داء رؤية العين ظالما ** يسيء و يتلى في المحافل حمده

علام يعيش المرء في الدهر خاملا ** أيفرح في الدنيا بيوم بعده

يرى الضيم يغشاه فيلتذ وقعه ** كذي جرب يلتذ بالحك جلده

و خلاصة القول ، إن البارودي لا ينفي عن نفسه صفة الاتباع التي يراها تحديثة ، بمعنى أنه يرى رسالته في الشعر إنما كانت رسالة إحياء للأنماط القديمة في أطر حديثة.

8- البارودي بين أيدي النقاد المعاصرين:

التمس النقاد أعذارا كثيرة للبارودي فيما يتعلق بظاهرة التقليد . فقال عمر الدسوقي عن معرضاته و تضميناته: «البارودي لم يسرق و لم يتعمد أخذ هذه الأبيات و السطو عليها ؛ و إنما كثر محفوظه منها و تأثر بها كل التأثر ، و لا سيما إذا كان يعارض قصيدة لشاعر مجيد ، فإنه يجاريه ...حتى يختلط عليه شعره بشعره و تتعذر عليه التفرقة بينهما ، و ذلك لجودة محاكاته و سلامة طبعه».

أما شكيب أرسلان فكان أكثر تعصبا له.إذ رأى في معارضتها لأولين لصواب عينه.

و قد امتدح طريقته في قصيدة مطولة أرسلها اليه ؛ فرد عليه البارودي بقصيدة قال فيها عن شكيب:

أحيا فيها رميم الشعر بعد هموده ** و أعاد للأيام عصر الأصمعي

و رفع الدكتور مصطفى بدوي شأن البارودي ، لأنه تمكن من الجمع بين لعودة الى صفاء العبارة ، و كلاسيكية العباسيين ؛ و بين المقدرة على التعبير عن تجربتة الفردية... و رأى أن النهضة الحديثة إنما تبدأ حقاً بالبارودي،لأنه جدد الصلة بين الشعر العربي و بين أمور الحياة الجادة بعد قرون من الانحطاط.

و رد مُحَمَّد حسين هيكل جميع أشعار البارودي الى الأصالة و الطبع ، و قَدّم لديوانه بمقدمة مطولة.

و وصفه الدكتور شوقي ضيف بانه أول المجددين في الشعر العربي الحديث .و قال؛إن تجديده يقوم على أصلين : بعث الأسلوب القديم في الشعر بحيث تعود اليه جزالته و رصانته ، و تصوير الشاعر لنفسه و قومه و بيئته و عصره تصويرا مخلصا صادقا.

و لا يبعد هذا الرأي عن رأي عبد الكريم اليافي الذي يقول:« لقد أعاد البارودي الشاعر المبرز في عصره الى التعبير أصالتَه و الى البيان رونقه و قوته و ماءه.و لذلك خصصناه بالذكر و آثرناه بالتنويه».

و منذ ذلك الوقت عرف الشعر العربي الصحيح القوي نشاطا بالغا في البلاد العربية ، و نشأ شعراء نوابغ بعثوا في هيكل الشعر حياة جديدة قوية و غنوا فيه ما شاء الغناء[3].

و الحق أنه فتحت عيون أمتنا على سنا فجر أدبي جديد ، بدأ منذ أواخر القرن الماضي ... « وهب في تلك المرحلة شاعر موهوب راح يبعث شعرنا العربي و يرد اليه الحياة ..ذلك هو الشاعر الثائر محمود سامي البارودي الذي نفر مما كان به سابقوه و معاصروه من أحداث الشعر المكفن بالمطرزات و المزوقات. و أكب على الرائع من الشعر القديم يقرؤه و يتمثله ثم ينسج على منواله ، فأنتج شعراً أشبه بالتراث العربي في عصوره الزاهرة أيام بني أمية و بني العباس و أطلع الناس بإنتاجه على شعر قديم حديث – مع ما فيه من طابع قديم – حي مشرق ، قد أعادت نماذجه الحياة الى الشعر العربي روحه و جماله معاً. فكانت حركة البارودي بعثا حقيقيا لشعرنا العربي ..[4]» و ما لبثت تلك الحركة الى أن تحولت الى مدرسة بفضل جهود كريمة و إنتاج رفيع .و تلك المدرسة هي « المدرسة المحافظة البيانية » أو الاتباعية التي رادها فيما بعد حافظ ابراهيم و أمير الشعراء « أحمد شوقي » .

التّعريف بحافظ إبراهيم :

مُحمّد حافظ إبراهيم، هو من أشهر شُعراء العرب المعاصرين عامّة ومِصر خاصّة، وهو صاحب ألقاب "شاعر النّيل" و"شاعر الشَّعب"، والذي عُدّ أحد أعضاء مدرسة الإحياء والبعث الخاصّة بالشِّعر التي اشتُهرت بانتماء العديد من الشُّعراء إليها، مثل أحمد شوقيّ، ومحمود سامي البارودي، وغيرهم، كما كان له صداقة قويّة مع أمير الشُّعراء أحمد

[3] – المرجع نفسه مدخل الى دراسة المدارس الأدبية ص62.

[4] – المرجع نفسه.

شوقيّ استمرّت إلى مماته، ومن الجدير بالذِّكر أنّه تمتّع باحترام عالٍ عند من من يؤيّدونه وعند خصومه كذلك؛ فهو على الرّغم من اختلافه مع العقّاد، وخليل مطران في المذهب الشِّعري إلّا أنّهما ما كانا يُكنّان إليه إلّا كلّ تقدير وإنصاف لموقعهِ في الأدب الشِّعريّ.[5][١] مولد ونشأة الشّاعر حافظ إبراهيم لم يكن تاريخ مولد حافظ إبراهيم معلوماً ولا حتّى في أوراقه الرّسميّة الموجودة في ملّفات خدمته، إلّا أنّه بعد أن عُيّن في دار الكتب طُلب منه تعيين يوم مولده، فتمّ إرساله في الرّابع من شهر شباط لعام 1911م إلى لجنة طبيّة مُخوّلة للنّظر في هذه الأمور لتقدير عُمره، فكان لهم أنْ قدّروه بتسعة وثلاثين عامًا، وعلى إثر هذا التّقدير تم الإقرار بيوم مولده أن يكون في الرّابع من شهر شباط لعام 1872م، ويقول الأستاذ أحمد أمين في وِلادته على صفحة النّيل: "كان إرهاصاً لطيفاً، وإيماءً طريفاً، إذا شاء القدر إلّا بولد شاعر النّيل إلّا على صفحة النّيل"، فمن الجدير بالذِّكر أنّ حافظ إبراهيم وُلد في سفينة "ذهبية" كانت راسية على شاطئ النّيل، ووالده هو المهندس المصريّ إبراهيم فهمي، وهو من المهندسين الذين أشرفوا على قناطر بلدة ديروط، أمّا أمّه فهي "هانم بنت أحمد البورصه لي"، وأصلها تُركيّ من أسرة مُحافظة تُسمّى الصّروان، حيث كانت تقطُن هذه الأسرة في أحد الأحياء القديمة والشّعبيّة في مدينة القاهرة، واسمه "حيّ المغربلين"، وسُمّيت الأسرة بذلك لأنّ جدّ حافظ لأمّه كان أميناً للصرّة في موسم الحجّ.[٢] حياة وتعليم الشّاعر حافظ إبراهيم نشأ والد حافظ إبراهيم "إبراهيم فهمي" في بلدة ديروط التابعة لبلدان الصّعيد، وفي عام 1870م أصبح مسؤولاً مع غيره من المهندسين المصريّين على القناطر التي تُقام على نهر النّيل، وكان قد سكن في سفينة ذهبيّة مع زوجته هانم التي فيها كان مسقط رأس حافظ إبراهيم، إلّا أنّه قد فارق الحياة وحافظ في عُمر الرّابعة، فعَمَدت أمّه إلى الانتقال به إلى مدينة القاهرة فكفله خاله الذي كان يعمل مُهندس تنظيم، فرعاه وقام بتربيته كما أنّه أرسله للالتحاق بالكُتّاب وبعد ذلك إلى المدرسة، لكنّ حافظ كان يعيش حياة مُضطّربة لأنّه كان يتنقّل بين مدارس مُختلفة حتّى التحق بآخرها وهي المدرسة الخديويّة، إلّا أنّه وفي نفس الوقت تمّ نقل خاله إلى بلدة طنطا فأخذه معه، لكنّ حافظ إبراهيم لم يلتحق بالمدرسة وهو في هذه البلدة إذ التحق بالجامع الأحمديّ بشكل غير مُنتظم، فحظي في هذا الجامع بالعديد من الدّروس التي تُشابه تلك التي تُلقى في الجامع الأزهر.[6][٣] كان ممّا يتمّ مناقشته في الجامع الأحمديّ بين الطّلاب استعراضهم لأصحاب طرائف الشِّعر القديم، والمحدّث مثل البارودي، فأثناء ذلك لُوحظ ميل حافظ إبراهيم للشِّعر والأدب، ثمّ قرّر بعد مُدّة أن يُحاول الحصول على قوته بنفسه، فتوجّه للدّخول في مهنة المحاماة لما يملكه من طلاقة في اللّسان، ومنطقاً سليماً يُجارى، وكانت المحاماة آنذاك مهنة حُرّة، فتمّ إلحاقه للعمل لدى بعض المحامين، إلّا أنّه سُرعان ما انتقل إلى مدينة

1"مُحَمَّد حافظ إبراهيم"، www.hindawi.org، اطّلع عليه بتاريخ 27-12-2019. بتصرّف. ^ أ ب أحمد أمين، أحمد الزين، إبراهيم الأبياري (1987)،

2ديوان حافظ إبراهيم (الطبعة 3)، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، صفحة 13،14،18،92،93. بتصرّف. ^

3 كامل مُحَمَّد مُحَمَّد عويضة، حافظ إبراهيم –شاعر النيل–، سلسلة أعلام الأدباء والشعراء، بيروت: دار الكتب العلمية، صفحة 11،12،13،15، جزء 39. بتصرّف.

4 خالدة عثمان فتاح (2008)، "الرثاء في شعر حافظ إبراهيم، دراسة فنية موضوعية"، كلية العلوم الإسلامية، العدد 18، صفحة 233،234. بتصرّف.

القاهرة فالتحق في مدرستها الحربيّة حتّى تخرّج منها عام 1891م، وعلى إثر ذلك عُيّن في وزارة الحربيّة، فبقي فيها ثلاثة أعوام، وبعد ذلك تحوّل إلى وزارة الدّاخليّة ليعمل فيها عاماً وأكثر قليلاً، ثمّ عاد ليعمل في الحربيّة، ومن الجدير بالذِّكر أنّ حافظ إبراهيم بدأ مُحاولته للعيش بنفسه لشعوره بالملل أثناء عيشته عند خاله، بالإضافة إلى اضطراب حياته لأنّه كان يأخذ الأمور على محمل غير جادّ، لكنّه عندما أخذ قراره ذلك كتب أبياتاً في خاله أبيات، وهذه هي:[٣] ثقُلتْ عليك مؤونت ي إنّي أراها واهيهْ فافرحْ فإنّي ذاهبٌ متوجّهٌ في داهيهْ عمل الشّاعر حافظ إبراهيم مرّ حافظ إبراهيم بالعديد من المراحل في حياته المليئة بالقلق وضِيق العيش كونه من أسرة مُتوسطّة الحال، بالإضافة إلى نشوئه يتيماً، فكان في حالة تجعله مُحتاجاً للعمل لإعالة نفسه، فعمل حتّى أُحيل إلى التّقاعد، ومن الجدير بالذِّكر أنّ حافظ كان صاحب إحساس رقيق ممّا جعله يشعر بعمق الأسى الذي يعيشه، إلّا أنّه تجاوز ذلك في حياته إذ حاول العمل في صحيفة الأهرام، لكنّها لم تقبله فعَمَد إلى مُلازمة الشّيخ مُحَمَّد عبده، وقال حافظ في ذلك: "فلقد كنت ألصقَ النّاس بالإمام، أغشى داره، وأردّ أنهاره، وألتقط ثماره"، وفي عام 1911م تمّ تعيينه بدار الكُتب المِصريّة في قسمها الأدبيّ تحديداً، ومن قِبل وزير التّربية والتّعليم حشمت باشا، كما كان لوظيفته أثر فيما ينظمه من الشِّعر؛ فتوقّف عن نظم الأمور السّياسيّة والاجتماعيّة كما كان يفعل قبل توظيفيه في هذه المِهنة والتي بقي فيها حتّى عام 1932م.[٣] زواج الشّاعر حافظ إبراهيم تزوّج حافظ إبراهيم عام 1906م من ابنة أحد أغنياء حيّ عابدين، إلّا أنّ هذا الزّواج لم يستمر طويلاً فقد دام أربعة أشهر فقط، فبعدها انفصلا ولم يُقبِل بعدها على زواج آخر، كما لم يكن للمرأة مكان في مسيرته إلّا زواجه ذاك؛ وذلك بسبب ما لاقاه من ظروف حياته ووطنه، ففضّل أن يتّجه بهذه العاطفة إلى هموم وطنه وشعبه، إذ ظهر أثر ذلك في ديوانه الشِّعري الذي لا يحتوي إلّا على ثلاث صفحات من شِعر الغزل، حتّى أنّها ليست أبياتاً طويلة، فهي لا تتجاوز البيتين للمقطوعة الواحدة، ومنها ما هو مُترجم عن جان جاك روسو، وفي عام 1908م توفّت أمّه مهمومةً على حال ابنها ثمّ توفّى خاله بعدها، لذا بقي عند زوجة خالته التي أمّنت له أسباب العيش.[7][٤] أساتذة الشّاعر حافظ إبراهيم أخذ حافظ إبراهيم العلم والمعرفة من أشهر عُلماء الأدب والعلم في عصره، فكان يحضر مجالسهم التي تواجد فيها العديد من العلماء، والشُّعراء، والأدباء فكان يسمع منهم، ومن أعلام عصره هؤلاء السّيد توفيق البكري الذي لم يتوانى حافظ في الذّهاب إلى بيته الواقع في حيّ الخرنفش، وكان يلتقي هناك بالعديد من العلماء الذين يتحدّثون في الأدب، واللّغة، وكونه صاحب ذاكرة تعي ما تسمع بالإضافة إلى مَلَكة الحفظ لديه فذلك أدى إلى جعله مُلمّاً بمُفردات اللّغة وتراكيبها على قَدر جيّد ممّا كان يتلّقاه، كما كان ممّن يتردّدون إلى بيت السّيد توفيق: الشّيخ الشّنقيطيّ، والشّيخ محمّد الخضريّ، والشّاعر اللّغويّ حفني ناصف.[8][٥] إنّ بيت إسماعيل صبريّ "شيخ الشُّعراء" لم يسلم كذلك من حافظ إبراهيم، حيث كان الأخير كثير التّردّد إليه ليرى العديد من الشُّعراء الذين كانوا يعدّون الشّاعر إسماعيل أستاذهم، فكانوا يأخذون برأيه في أشعارهم، ومن هؤلاء الشُّعراء: أحمد شوقيّ، وخليل مطران، وأحمد نسيم، كذلك محمّد عبد المطّلب، وعبد الحليم المِصريّ، وغيرهم من الشُّعراء الشّباب آنذاك، كما أقرّ

---

7 5 عبد الحميد سند الجندي، حافظ إبراهيم، شاعر النيل (الطبعة 4)، القاهرة: دار المعارف، صفحة 82،83،129. بتصرّف. ^

6 مُحَمَّد ثابت (2016)، أروع ما كتب حافظ إبراهيم، شاعر النيل (الطبعة 1)، القاهرة: كنوز للنشر والتوزيع، صفحة 6،7. بتصرّف

8

حافظ بما للشّاعر إسماعيل من فضل عليه في نُضج شِعره وصقله، ويجب الإشارة إلى أستاذين كذلك كان أيضًا لهما فضل كبير في ثقافة حافظ، وعقله، وشِعره، وهُما: الشّاعر محمود سامي البارودي، والأستاذ الإمام محمّد عبده.[٥] صفات وشخصيّة الشّاعر حافظ إبراهيم تمتّع حافظ إبراهيم بالعديد من الصّفات التي جعلت منه شاعراً فريداً في زمانه، ومنها جزالة الشِّعر الذي كتبه، وقوّة ذاكرته التي بقيت كمِيزة له طوال عمره حتّى عمر السّتين، كما أنّ ذاكرته كانت مليئة بآلاف القصائد العربيّة سواءً القديمة أم الحديثة، كذلك كانت تحتوي على عدد كبير يصل إلى المئات من الكُتب. كما شهد له أصدقاؤه باستطاعته قراءة ديوان شِعريّ كامل أو كتاب ما في دقائق معدودة، حتى كان يذكر ممّا قرأه بعد ذلك قَدْراً جيّداً وذلك كلّه لامتلاكه مَلَكة القراءة السّريعة، بالإضافة إلى قدرته على تأدية سُور القرآن بعد سماعها مُباشرةً بنفس الطّريقة التي سمعها بها، وكان له ذلك أثناء سماعه لقارئ القرآن عند خاله، وشهد له أصدقاؤه بذلك أيضاً.[٦] على الرّغم من قدرة حافظ إبراهيم على القراءة الكثيرة والسّريعة، إلا أنّه لم يقرأ أثناء عمله في رئاسة القسم الأدبيّ لدى دار الكُتب أيّ كتاب، رغم احتوائها على العدد الهائل من الكُتب، كما قِيل إنّ السّبب وراء ذلك يعود لكثرة الكُتب فيها التي أشعرته بالملل، ومنهم من يُشير إلى ضُعف نظره خلال تلك المدّة كسبب لعدم قراءته خوفاً أن يُصيبه ما أصاب الشّاعر البارودي، فقد كان في آخر حياته أعمى، كما كان يتمتّع بحِسّ فُكاهيّ في شخصيّته فكان ينشُر البهجة والسّرور في المجالس التي يحلّ فيها لسرعة بديهيته، إلّا أنّه كان يُؤخذ عليه مأخذ واحد، وهو أنّه كان شديد التّبذير في ماله، فيقول العقّاد فيه تبذيره: "مُرتّب سَنة في يد حافظ إبراهيم يُساوي مُرتّب شهر"، حتّى قِيل في أحد مظاهر تبذيره قيامه باستئجار قطار ليوم كامل كيّ يوصله بعد عمله إلى حيث كان يسكن في منطقة حلوان.[٦] شِعر حافظ إبراهيم وأبرز موضوعاته الشِعر السّياسيّ: اتّضح هذا اللّون في شِعر حافظ إبراهيم في طابعه الوطنيّ والمتمثّل في الآمال الحالمة لأمّته، فاستخدم فيه مُفردات كان يشكو فيها ما يتعرّض له وطنه من قضايا ومشاكل، بالإضافة إلى الأحداث التي تُزعزع الأخلاق وتزرع حالة من الحماس فيه ليكتب في إصلاح ما هو فاسد، بالإضافة إلى أنّه كان لِشِعره موقف مُساعد للصّحافة الوطنيّة، والرّأي السّياسيّ، والاجتماعيّ للقادة، فقد كان يتردّد إلى مجالسهم التي تُثير مشاعره، فيكتب ما لا تستطيع المقالات والخُطب إيصاله، فهو شاعر الحياة السّياسيّة، والاجتماعيّة؛ فلا تخلو قضيّة سياسيّة أو اجتماعيّة إلّا وتتعلّق كتاباته بها والعكس كذلك، وهكذا كان شِعر حافظ بين الجانبين، وليس عجيباً أن يكون حافظ إبراهيم شاعر الشَّعب كذلك لما حمله من حبّ لوطنه وأهله، وممّا قال فيه:[9][٧] متى أرى النّيل لا تحلو موارده لغير مرتهب لله مُرتقِبِ فقد غدت مِصرُ في حال إذا ذُكرتْ جاءت جُفوني لها باللّؤلؤ الرّطبِ كأنّي عند ذكري ما ألمّ بها قرم تردّد بين الموت والهربِ الشِّعر الاجتماعيّ: تميّز هذا اللّون عند حافظ إبراهيم جلّياً بسبب البيئة التي نشأ فيها بين العلماء والعباقرة رغم ظروفه الصّعبة، بالإضافة إلى مُخالطته لأبناء بلده في مِصر، وانخراطه في عاداتهم، وآدابهم، وأخلاقهم، فكان يُجيد إضفاء حالة من الضّحك على وجوههم تارة، والبكاء في أخرى أثناء نقده للواقع الذي يعيشون فيه، كما أنّه لم يتوانى عن إبراز تلك القضايا بأيّ شكل من الأشكال؛ فقد

[9] 7 د. عبد المنعم إبراهيم الجميعي (2012)، شاعر النيل حافظ إبراهيم، سلسلة رواد التنوير، مصر: الهيئة العام للاستعلامات، صفحة 10،35،36،37. بتصرّف.

كان جريئاً في طرحه لأوجاع الشّعب وقضاياه بين الأسى، والدّهشة، ومُستعرضاً فيه غفلة النّاس عن مصالح حياتهم، وحقوقهم المهملة بسببهم أنفسهم، وذلك تجاه حياتهم ووطنهم لإثارة نُفوسهم وتهذيبها نحو الإصلاح، وما كانت القضايا التي يتناولها خاصّة في وطنه فقط إنّما في الوطن العربيّ كافّة، ومن الجدير بالذِّكر أنّ حافظ إبراهيم تأثّر بالأفكار التي يعرضها كلّ من البارودي، والشّيخ محمّد عبده، وقاسم أمين، وسعد زغلول، وغيرهم.[٧] شِعر المديح للغة العربيّة: اتّضح أهميّة هذا اللّون في شِعر حافظ إبراهيم جليّاً بعد محاولات إلغاء وجود اللّغة العربيّة، وذلك أثناء الاستعمار البريطانيّ، وفي المقابل تعزيز وجود اللّغة الإنجليزيّة كبديل لها؛ لجعل مِصر مفصولة تماماً عن الدّول العربيّة الأخرى، فقد كتب قصيدة على لسان اللّغة العربيّة عام 1903م مادحًا فيها اللّغة الفصيحة، ومُدعّماً بأنّها لُغة القرآن، ويتحدّث بلسانها، وهي تستهجن أفعال أبنائها، ومُثيراً بذلك المِصريّين؛ ليقفوا تجاه التّحدّيات الدّاعية لإلغاء وجودها. بالإضافة إلى إشارته أنّ إلغاء وجود اللّغة العربيّة ما هي إلّا محاولة لإلغاء القوميّة، وإبعاد النّاس عن تُراثهم وثقافتهم التي يعتزّون بها، ومن الأبيات التي كتبها في قصيدته تلك:[٧] رجعتُ لنفسي فاتّهمتُ حُصاتي وناديتُ قومي فاحتسبت حياتي رموني بعُقم في الشّباب وليتني عقمتُ فلم أجزع لقول عداتي وُلدتُ ولما لم أجد لعرائسي رجالاً وأكفاء وأدت بناتي شِعر الرّثاء: عُدّ هذا اللّون في شِعر حافظ إبراهيم الأكثر بُروزاً في شِعره وأشعار مُعاصريه، إذ اتّضحت في رِثائه مشاعره الوافرة بالوفاء؛ فقد كان شديد التّأثّر عند موت أحد أصدقائه، فما وجد إلّا الشِّعر كمخرج يُعبّر فيه عن حُزنه الشّديد، ويعود هذا الإبداع في شِعر الرّثاء إلى أمور مُختلفة، ومنها:[٥] نفسه الرّاضية، والمصاحبة للإحساس القويّ، فقد كان يُحسن إلى النّاس خيراً، ومعروفاً، وبِرّاً على قدرٍ جعل النّاس تُشيد به وتُثني عليه.

شخصيّته المنطوية على الحُزن، والأسى لما قاساه في حياته، ولعلّ اليُتم كان أبرزها. سِمات وخصائص شِعر حافظ إبراهيم يتّسم شِعر حافظ إبراهيم بالعديد من السِّمات، ومنها:[10][٨] انتظام الشِّعر والاجتهاد فيه، مع الطّابع الحادّ في النَّظم. عدم استخدامه لأساليب الاختراع، والابتكار، ومُبتعداً بذلك عن الخيال. نظم الشِّعر عنده كان مقروناً فيما يُطلب منه من المواضيع. اعتباره من أفصح أشعار العرب التي كُتبت في الجرائد والصُّحف، وأكثرها إيصالاً للمعنى المراد منها. استخدام المعاني ذات المفرادت البسيطة. التّطرُّق لأمور الحياة، والطّبيعة، والعقل، وكلّ ما له علاقة بالنّفس في شِعره. الصِّياغة الشِّعريّة النّقيّة؛ فهو مُستوحى من الطّبيعة ومن خلجات نفسه. نظم الشِّعر بإفراط مُتكلّف، مع العمل الجادّ والكبير عليه. العناية بالألفاظ بشكل كبير على حِساب المعنى أحياناً. شاعِريّة حافظ إبراهيم في شِعره يتمثّل شِعر حافظ إبراهيم في كونه شِعراً يُخاطب الوِجدان؛ فهو يُعبّر عن مشاعره على اختلافها، الحزينة منها والسّعيدة، ويشتمل على عاطفته تجاه القضايا والمشاكل العالميّة، إلّا أنّ أعظم شِعره يتمثّل في حديثه عن وطنه مِصر، فهو يُسهب في الحديث عن حبّه لها، كما يُسدي إليها النُصح والإرشاد ويُدافع عنها بشِعره، كذلك لم يتوانى في السُّخرية ممّن حاولوا إضعاف الإيمان والجهاد في نفسه أو أن يُكمّم أشعاره، ومن الجدير بالذِّكر أنّه كان مُتفرِّداً غير

---

10 8إبراهيم عبد القادر المازني، شعر حافظ، صفحة 9،10،11. بتصرّف. ↑ أحمد زكي أبو شادي (26-8-2012)، قضايا الشعر المعاصر، القاهرة: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، صفحة 57،58،59،60. بتصرّف. ↑

9" سؤال وجواب"، www.hindawi.org، اطّلع عليه بتاريخ 27-12-2019. بتصرّف

مُقلِّد لأحد في أشعاره كما فعل شوقيّ في مُحاكاته لأشعار المتنبّي، والشّاعر عبد المطلّب في مُحاكاته لأشعار البدو، بالإضافة إلى الشّاعر الجارم عند مُحاكاته للشّعر العباسيّ؛ وذلك لأنّ منبع أشعاره كانت من إيمانه وعاطفته الكبيرين، كما أنّ هناك العديد من الحِكم لحافظ إبراهيم، والذي قام "أحمد عبيد" في كتابه "مشاهير شعراء العصر" بجمع بعضها، ورُغم الطّابع الواقعيّ لِشِعره إلّا أنّه يتّصف في أحايين قليلة بالطّابع القصصيّ، كما يظهر ذلك في قصيدته "بنت مِصر، وبنت الشام"، وقصديته "المناجاة"، وفيما يلي بعضٌ من أعماله الخالدة:[٩] قصيدة دنشواي. قصيدة مِصر. قصيدة محمّد عبده، وهي رثاء. قصيدة مُصطفى كامل، وهي رثاء. قصيدة حطمتُ اليراعَ. قصيدة راعية الطّفل. قصيدة المناجاة. قصيدة مُظاهرات السّيدات. مؤلّفات الشّاعر حافظ إبراهيم ديوان حافظ إبراهيم تُعدّ الأشعار التي وصلت النّاس لحافظ إبراهيم هي التي نشرتها الصُّحف والمجلّات له، بالإضافة إلى القليل ممّا احتفظ به هو وتلك الموجودة عند أصدقائه، وإلّا ما كانت الأشعار قد وصلت إلينا هذا اليوم، وذلك بحسب ما قاله الكاتب أحمد أمين، وأشار إلى أنّ سبب ذلك يعود لكتابة حافظ إبراهيم أشعاره على أوراقه في أيّ مكان يقع، وهذا غير التي لم يُدوّنها أصلاً، كما وضّح أحمد أمين ما مرّ معه أثناء رحلة البحث عن أشعار حافظ هو، وإبراهيم الأبياريّ، وأحمد زين، فيقول: "ولكن ما ورد في ذلك كلّه ليس وافياً، ولا مُستقصياً، فاضطرّرنا إلى أن نرجع إلى المجلّات، والصّحف نتصفّحها عدداً عدداً من يوم أن نُشر له، إلى يوم وفاته"، وبعد عناء البحث قاموا بترتيب ديوان شامل لأشعار حافظ إبراهيم، كما وضّح أحمد أمين ما نُشر من أشعاره، سواء ممّا جُمع في حياته، أو بعد وفاته، وهي كالتّالي:[٢] في حياته: جُمعت له في حياته ثلاثة أجزاء صغيرة، نُشر الجزء الأول منها مع تعليق "محمّد إبراهيم هلال بك" عليها عام 1901م، والثّاني عام 1907م، والثّالث نُشر عام 1911م، أمّا عن شِعره بعد هذا العام، لم يُنشر لعدم جمعه في حياته. بعد وفاته: قام أحمد عبيد، وهو أديب دمشقيّ بجمع بعض أشعار إبراهيم حافظ ونشرها في دمشق عام 1933م، وكانت تلك الأشعار ممّا لم يُنشر من ديوانه، وقام أحمد عبيد كذلك بجمع ما قام به شوقي بالإضافة إلى أشعار الرِّثاء فيهما، وما كتبه هو عنهما في كتاب أسماه "ذِكرى الشّاعريْن". نشرت مكتبة الهلال القائمة في مِصر ديواناً شِعريّاً عام 1935م، وجمعت فيه الأجزاء الثّلاثة التي جُمعت سابقاً، بالإضافة إلى ما نشره أحمد عبيد في "ذِكرى الشّاعريْن". الدّيوان المصّنف بحسب الموضوعات، والذي جمعه أحمد أمين، وإبراهيم الأبياريّ، وأحمد زين، وذلك عام 1937م، وكان الدّيوان مُقسّماً، فيذكُر المديح، ثمّ الهجاء، ويستعرض تاريخ قوله للأبيات وهكذا، بالإضافة إلى أنّ الدّيوان مُفهرس بطريقة هجائيّة ليسهل على القارئ الرّجوع إلى القصيدة، بحسب قافيتها، كما تمّ تناول الدّيوان نوعين من الشّرح للأبيات، أولّها تضمّن ظروف القصيدة، وتاريخ نشرها لإدخال القارئ في أجوائها، والثّاني تضمن شرحاً لُغويّاً لتراكيب الأبيات، ومُفرداتها، مع الإشارة إلى الأحداث التّاريخيّة الواردة فيها، وقال أحمد أمين واصفاً الشّرح الذي تناوله في هذا الدّيوان: "وقدّرنا أنّ الدّيوان ستتناوله أيدي الطّلبة في المدارس الثّانويّة، ومن في مستواهم، فقصدناهم بالشّرح، ونظرنا إليهم في البسط."

سؤال وجواب يُعدّ هذا الكتاب بمثابة الطّريقة المثلى التي ودّ حافظ إبراهيم أن يكون العالم بها، والمتمثّلة في رغبته لبناء جيل يسعى لتحقيق هذه الطّريقة، فجعلها في هيئة أسئلة وأجوبة على لسان أبٍ وابنه بشكل مُختصر وبسيط ليتناولان

العديد من مُفرادت الحياة ومعانيها، مثل النّجاح، والسّعادة، والإخلاص، وغيرها من معاني الحياة، كما أنّ القارئ لهذا الكتاب يُخيّل له أنّه في عالم لا اختلال فيه؛ فالدّقة والوُضوح سمات هذه الإجابات الواردة في الكتاب، بالإضافة إلى سمة البساطة التي جعلت منه كتاباً يُخاطب فيه الفئات العُمريّة المختلفة دون أن يكون مُعقدّاً، وهذه علامة الفِكر الراقي، واللّغة السّليمة، كما يُعدّ هذا المصنّف أحد أهمّ أعمال حافظ إبراهيم النّثريّة.[11] [١٠] ليالي سطيح يتناول هذا الكتاب حالة نقديّة للقضايا الاجتماعيّة والأدبيّة لِما يحمله من الأخلاق والعادات المنتشرة في مِصر، فتدور أحداث الكتاب حول أحد سُكّان النّيل مع أحد الكهنة القدماء العرب، واسمه "سطيح"، كما إنّ الطّابع الأدبيّ العامّ للكتاب طابع نثريّ يقترب من كونه مقامة أدبيّة لثبات المكان فيها وغَلبة أسلوب الحوار فيه، كما أنّ الشّخصيّات فيه لا تظهر بشكل حقيقيّ إنّما استعرضها حافظ لإيصال أفكاره من خلالها بالإضافة إلى اعتماده الأساليب التّقريريّة وليست التّصويريّة فيه، ومن الجدير بالذِّكر أنّ هذا الكتاب يُعدّ مُحاكاة للمقامات الأدبيّة لعيسى بن هشام في أسلوبه الكتابيّ إلّا أنّ حافظ إبراهيم يقلّ عنه في الجانب التّخيُّليّ.[12] [١١] مؤلّفات أخرى من المؤلّفات الأخرى لحافظ إبراهيم:[١٢] تعريب رواية البؤساء لصاحبها فيكتور هيجو عام 1903م. الموجز في علم الاقتصاد الذي كتبه بمُشاركة خليل مطران، وهو يتكّون من جزئين عام 1913م. التّربية والأخلاق وهو مُكوّن من جُزئين. كتاب عُمر: مناقبه، وأخلاقه، والمسمّى ب"عُمريّة حافظ" عام 1918م. وفاة الشّاعر حافظ إبراهيم تُوفّي حافظ إبراهيم يوم الخميس صباحاً في الحادي والعشرين من شهر حُزيران لعام 1932م، ودُفن في إحدى مقابر السّيدة نفيسة، ومن الجدير بالذِّكر أنّه قبل يوم من وفاته تحديداً في ليلة العشرين دعى حافظ صاحبين له على طعام العشاء لكنّه لم يتناول معهما الطّعام لشعوره بالمرض، إلّا أنّ المرض اشتدّ عليه بعد أن غادرا بيته، فجعل خادمه يطلب له الطّبيب لكنّ حافظ إبراهيم فارق الحياة قبل قدومه، وأثناء إعلان وفاته كان الشّاعر أحمد شوقيّ في مدينة الإسكندرية، فلم يعلم بخبر وفاته لتكتّم سكرتيره على الخبر؛ حرصاً منه على إبعاد هذا الخبر السيئ عنه خاصّة بمعرفته قوّة الرّابطة بينهما، إلّا أنّه بعد معرفة شوقيّ بوفاته أخذ يسرح للحظات، وبعدها رفع رأسه وقال أبياتاً في رثاء صديقه حافظ، وكانت أولّ أبيات في مرثيّته، وهذه هي:

قَد كُنتُ أوثِرُ أَن تَقولَ رِثائي

يا مُنصِفَ الموتى مِنَ الأَحياءِ

---

[11] 10" ليالي سطيح"، www.hindawi.org، اطّلع عليه بتاريخ 27-12-2019. بتصرّف

[12] 11د.فؤاد صالح السيد (2015)، أعظم الأحداث المعاصرة (1900 - 2014 م) (الطبعة 1)، بيروت: مكتبة حسن العصرية، صفحة 193. بتصرّف. ↑

12 عبدالله صالح الجمعة (2008)، أيتام غيروا مجرى التاريخ (الطبعة 2)، الرياض: العبيكان، صفحة 123،124. بتصرّف

[13]**الشاعر أحمد شوقي** :أحمد شوقي هو أحد أعمدة الشعر العربي الحديث، ورائد النهضة الشعرية العربية، اعتلى عرش الشعر العربي فلُقب بأمير الشعراء عام 1927م، وكان قبل ذلك قد نُفي إلى إسبانيا في الفترة الممتدة بين عامي 1914-1919م، وحين عودته سيطر على الساحة الأدبية في مصر، وقد عُرف شوقي بغزارة إنتاجه الشعري، كما امتاز شعره بغرابة الألفاظ وسهولة الأسلوب، وكتب مسرحيات حاكى بها نماذج الشعراء الغربيين من أمثال: شكسبير، وكورني، وراسين.[١] نشأة وحياة الشاعر أحمد شوقي ولد أحمد شوقي علي أحمد شوقي بك في القاهرة عام 1869م، نشأ وترعرع فيها، وقد حمل اسم جده لأبيه ولقَبُه أحمد شوقي، وانحدر الشاعر أحمد شوقي من أسرة اختلطت دماؤها بأصول خمسة، هي: الكردية، والشركسية، والعربية، واليونانية، والتركية، فجده لأبيه كردي الأصل تولى عدة مناصب إدارية في زمن سعيد باشا كان آخرها أمين الجمارك المصرية، وجده لأمّه تركي الأصل واسمه أحمد حليم النجدلي، وكان وكيلاً لخاصة الخديوي إسماعيل، أمّا جدته لأمّه فكانت يونانية وتعمل وصيفة في بلاط الخديوي، وقد تولّت أمر رعايته في طفولته، فنشأ في ظل القصر نشأة ارستقراطية، ما جعله يتفرغ للشعر ويخلص له، فلا يشغل باله غيره، وكان محاطاً بعناية العائلة بأكملها، لا سيما أنّه كان وحيد والديه.[14]321 تلقّى أحمد شوقي علومه الأولى في سن الرابعة في كُتَاب الشيخ صالح، وأنهى تعليمه الثانوي في سن مبكرة عام 1885م، ثمّ التحق بمدرسة الحقوق حيث درس القانون، وإلى جانبه درس ترجمة اللغة الفرنسية، وانتهى من دراسته عام 1889م، وأثناء دراسته كان يتتلمذ علوم الأدب على يدي حسين المرصفي، والشيخ حفني ناصف، والشيخ مُحَمَّد البسيوني البيباني، وبعد تخرجه من مدرسة الحقوق أرسله الخديوي توفيق إلى فرنسا لإتمام دراسة الحقوق، حيث قضى أربع سنوات في مدينة باريس ومونبلييه، ثمّ عاد إلى مصر عام 1892م، ومن الجدير بالذكر أنّ شوقي كان قد تزوج من السيدة خديجة شاهين وله منها ثلاثة أبناء، هم: حسين، وأمينة، وعلي.[٢][15][٤][16][] مصادر ثقافة الشاعر أحمد شوقي كان أحمد شوقي مثقفاً ثقافة متنوعة الأركان، فقد انكب على قراءة كتب الأدب العربي وداوم على مطالعتها، لا سيما كتب فحول الشعر أمثال: أبي نواس، والبحتري، والمتنبي، وأبي تمام، وكتب كبار الأدباء ككتاب الحيوان للجاحظ، إضافة إلى كتب اللغة، والفقه، والحديث، وإلى جانب ثقافته العربية فقد كان متقناً للغة للفرنسية، بسبب الفترة التي قضاها في فرنسا والتي مكّنته من الاطلاع على آدابها، والنهل من فنونها، والتأثر بشعرائها وأدبائها الذين كان متصلاً بهم اتصالاً مباشراً، إضافة إلى إتقانه للغة التركية والتي اكتسبها من بيته وعائلته، وتأثر الشاعر أحمد شوقي من إقامته في إسبانيا أثناء المنفى حيث اطلع

1العربية وشاعرها الأكبر أحمد شوقي، مُحَمَّد اسعاف النشاشيبي، مطبعة المعارف، القاهرة، 1346هـ/1928م ..

2أ ب عمر الطباع، الشوقيات، بيروت- لبنان: دار الأرقم للطباعة والنشر، صفحة 5،6، جزء الأول. بتصرّف

3أمهاني مُحَمَّد، عائشة الصديق، هناء مُحَمَّد، وآخرون، أمير الشعراء أحمد شوقي، السودان : جامعة السودان للعلوم والتكنيلوجيا، صفحة.

4أ ب ت منتصر أحمد (2018)، الصورة البيانية في شعر أحمد شوقي، السودان: جامعة السودان للعلوم والتكنيلوجيا، صفحة 8،7.

على مظاهر الحضارة الإسلامية هناك، واستشعر خسارة المجد العربي الإسلامي الزائل فيها.[17] 7.6.5بواكير الشاعر أحمد شوقي في الشّعر بدأ الشاعر أحمد شوقي بنظم الشعر أثناء دراسته الحقوق، وحين كان يتتلمذ على يدي الأستاذ مُحَمَّد البسيوني البيباني شاعر توفيق باشا، فكان أحمد شوقي يطلع على قصائد البيباني، ويقوم بمراجعتها وتنقيحها وتهذيبها، ما أسعد أستاذه كثيراً بذلك، إذ رأى في شوقي مشروع شاعر مبدع وتوسم فيه خيراً، فقدمه للخديوي توفيق وأخبره عن موهبته الفذة، فاستدعاه الخديوي واطلع على شعره.8 مؤلّفات الشاعر أحمد شوقي ديوان الشوقيّات هو ديوان يتألف من أربعة مجلدات، طبع أول مرة بين عامي 1888-1889م في مطبعة الآداب والمؤيد، ثمّ أُعيد طبعه عام 1911م دون أيّة إضافة إليه، كما وقُسّمت الشوقيات إلى أربعة أجزاء، طبع الجزء الأول 1926م دون أيّة إضافة إليه، ثمّ طبع الجزء الثاني عام 1930م، وبعد وفاة أحمد شوقي طبع الجزء الثالث الخاص بالرثاء عام 1936م، ثمّ طبع الجزء الرابع عام 1943م الروايات كتب الشاعر أحمد شوقي ثلاث روايات، هن: عذراء الهند: هي رواية عن تاريخ مصر القديم أيام الملك رمسيس الثاني، وقد ألفها عام 1897م. لادياس: كلمة (لادياس) تعني آخر الفراعنة، وهي أيضاً عن تاريخ مصر القديم، وتعكس حالة مصر قبل القرن الخامس الميلادي، أي بعد عهد بسمافيك الثاني. ورقة الآس: هي أيضاً رواية تاريخية وقعت أحداثها في زمن سابور ملك الفرس. مذكرات بنتاؤر: هي رواية تدور حول معتقد مصري قديم وهو أنّ بعض الناس بإمكانهم التكلم مع الطيور والتعبير عنهم بألسنتهم، فكانت الرواية عبارة عن حوار دار بين طائر الهدهد الذي يرمز إلى الشاعر ذاته وطائر النسر الذي يرمز إلى الشيطان الذي كان يسكن بنتاؤرو الشاعر المصري القديم.9 المسرحيّات اعتُبر الشاعر أحمد شوقي رائد المسرح العربي، إذ ملأ فراغاً في الأدب المعاصر، فوضع عدداً من المسرحيات الشعرية تناولت مادتها الأولية من التاريخ القديم ومن الحياة الاجتماعية المعاصرة، وجعل لكل مسرحية من مسرحياته هدفاً متمثلاً باتجاه معين أو عبرة أو قيمة أخلاقية، وقد اتسم أدب شوقي المسرحي بتأثره بالأدب الأوروبي، حيث استفاد من مطالعاته الأدب الفرنسي والإنجليزي، وهذه المسرحيات فهي:10 مسرحية مصرع كليوباترا ومسرحية قميز: تناولتا تاريخ مصر القديم، واعتمد في كليوباترا الاتجاه الوطني وامتازت بكثرة الغنائية الشعرية، أمّا مسرحية قميز فاتجاهها التضحية الوطنية. مسرحية علي بك الكبير: استقى الشاعر مادتها من تاريخ مصر القريب، واعتمد فيها الاستقلال الوطني، لكنه غير في بعض أحداثها الحقيقية، إذ زاد من صفة الخير للشخصيات بشكل مناقض للواقع التاريخي. مسرحية الست هدى: استوحى الشاعر أحداثها من الحياة الاجتماعية المعاصرة، وهي مسرحية ساخرة انتقد فيها النفعيين والانتهازيين. مسرحة عنترة ومسرحية مجنون ليلى: استلهمهما أحمد شوقي من

5أ ب ممدوح الشيخ (2008)، أمير الشعراء أحمد شوقي

6 كريمه فرحون، رشيد غنام (2013)، الجملة الإعتراضية في شعر أحمد شوقي، الجزائر: جامعة العربي بن مهيدي، صفحة 51. بتصرّف

7أ ب عبد الهادي مُحَمَّد (2009)، "الأخلاق في شعر أحمد شوقي"، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد الخامس، ه وشعره (الطبعة الثانية)، مصر: دار الورد للنشر، صفحة 8- 10. بتصرّف.

8 سلماني الزهرة (2015)، شعر الأطفال في قصائد أحمد شوقي، المسيلة: جامعة مُحَمَّد بوضياف، صفحة 30،31. بتصرّف.

9 أ ب أحمد جان، شمس ظهير (2017م)، "أمير الشعراء أحمد شوقي نثره الفني ومنهجه"، الإيضاح، العدد 34، صفحة 232،233.

10 كور نعيمة، قريش أحمد (2012)، مسرحية كيليو باترا بين أحمد شوقي ووليام شكسبير، الجزائر: جامعة تلمسان، صفحة 8،9.

تاريخ العرب القديم، وأكثر فيهما من الغنائية الشعرية، وركز في مسرحية عنترة على العفة في الحب، وعلى التقيّد بالتقاليد في مسرحية (مجنون ليلى). مسرحية أميرة الأندلس: كتب الشاعر هذه المسرحية بطريقة نثرية، وهي مستوحاة من التاريخ العربي، وأساسها الوفاء والالتزام بالعهد. مسرحية البخيلة: تُعدّ مسرحية كوميدية ناقدة مستوحاة من الحياة الاجتماعية المعاصرة، وقد اتجه شوقي فيها إلى طبقة البسطاء أو الأشخاص العاديين مبتعداً تماماً عن تلك الطبقة الارستقراطية، فالبخيلة هي امرأة عادية تدخر الثروة وتحرم نفسها من كل شيء.11[18] الكتب لم يكتب الشاعر أحمد شوقي الكثير من الكتب، واقتصر على كتابين هما: كتاب أسواق الذّهب: هو عبارة عن نصوص نثرية بمفردات صعبة لأمير الشعراء، تناول فيها أموراً متعلقة بالحياة البشرية، وقد عرّفها في مقدمة الكتاب قائلاً: (إنما هي كتاب، اشتملت على معان شتى الصور وأغراض مختلفة الخبر، جليلة الخطر، منها ما طال عليه القدم، وشاب على تناوله القلم، وألم به الغُفل من الكُتاب والعلم، ومنها ما كثر على الألسنة في هذه الأيام وأصبح يعرض في طرق الأقلام وتجرى به الألفاظ في أعنة الكلام؛ من مثل: الحرية، والوطن، والأمة، والدستور، والإنسانية، وكثير غير ذلك من شؤون المجتمع وأحواله). كتاب دول العرب وعظماء الإسلام: يُعدّ هذا الكتاب علامة بارزة في تاريخ الأدب العربي، فهو عبارة عن أراجيز مزدوجات تتألف من ألفي بيت، نظّمها الشاعر أحمد شوقي بإبداع، تحدث فيها عن سيرة سيدنا مُحَمَّد ﷺ، وسيرة الخلفاء الراشدين، وسير رجال آخرين، وذكر دول العرب في العصور الأمويّة، والعباسيّة، والفاطميّة.13.12

خصائص شعر الشاعر أحمد شوقي :أغراض شعر أحمد شوقي نظمّ شوقي الشعر في عدة مجالات مختلفة ومتنوعة، حيث كتب الشعر السياسي والوطني، بالإضافة إلى شعر الرثاء، والمدح، والغزل، والوصف، والحكمة، وقد أبدع شوقي في نظْمه حتى صعد إلى القمة، ومن خلال شعره كان يعكس الشاعر أحمد شوقي ما في نفسه من حب للوطن، والدين، والحياة، والحرية، وقد جاء متسماً بقوة العاطفة، وسعة الخيال، وسلاسة الألفاظ وعذوبتها، وقوة التراكيب.14 الأخلاق في شعر الشاعر أحمد شوقي أكثر الشاعر أحمد شوقي من ذكر الأخلاق في شعره والحث عليها، فبها تحيا الأمم، وبها يسعد الأفراد، وقد شغلت قضية الأخلاق بال شاعرنا فكانت بالنسبة إليه قضية مهمة سعى جاهداً لإيصالها إلى الناس بطريقة إبداعية مميزة ما جعلهم يُحسون به ويتفاعلون معه ويدركون أهمّيتها عليهم وعلى من سيأتي من بعدهم، وقد حقق شوقي مبتغاه إذ جعل من موضوع الأخلاق هدفاً إنسانياً مهماً، فعبر عن ذلك بمفردات واضحة المعنى والمغزى.

التأثيرات الإسلاميّة في شعر الشاعر أحمد شوقي ظهر تأثر الشاعر أحمد شوقي بالجانب الإسلامي بقوة في شعره، لا سيما تأثره بالقرآن الكريم الذي يُعتبر المرجع الأول لكافة المسلمين بما فيهم الشعراء والأدباء، فآيات القرآن الكريم هي المصدر الأول الذي استقي منه أمير الشعراء استشهاداته على ما وصف في شعره، والتي يرى شوقي فيها السبيل لحفظ كرامة المسلمين وإقامة العدل الذي أمر الله بإقامته. اللغة والإيقاع الموسيقيّ في شعر الشاعر أحمد شوقي كان

---

[18] 11أحمد شوقي، "البخيلة"، www.hindawi.org، اطّلع عليه بتاريخ 2020-3-18. بتصرّف. ↑

12جواد زادة، "جذور أدب المقاومة في شعر أحمد شوقي"، الكلية العلمية الجامعة، العدد 532، المجلد 1، صفحة 366. بتصرّف. 13↑ أحمد شوقي، "دول العرب وعظماء الإسلام"، www.hindawi.org، اطّلع عليه بتاريخ 2020-3-20. بتصرّف. ^

14 أ ب نضال العماوي (2015)، الغربة والحنين في شعر أحمد شوقي، غزة: الجامعة الإسلامية، صفحة 22،21. بتصرّف.

الشاعر أحمد شوقي متمكناً لغوياً، فقد امتلك ثروة لغوية غزيرة، كان لها أثر في شعره، إذ أكسبته السمات الآتيةالمعرفة الجيدة بالتراث العربي والعمل على إحيائه والاستلهام منه، فقد نَظَمَ قصائد استلهمها من العصر العباسي وعارض بها شعراء أمثال البحتري. هدوء العاطفة وضبط النفس. تجلي الموسيقى في شعره وقدرته على استخدامها بذكاء لإظهار المعنى المراد إيصاله. انبثاق صور فنية عديدة من الصورة الفنية العامة للعمل الفني. مرض ووفاة الشاعر أحمد شوقي أصيب أمير الشعراء وهو على أعتاب الستين بمرض تصلب الشرايين، وفي عام 1930م أصيب بمرض آخر مفاجئ أنهك قواه وألزمه الفراش لمدة أربعة أشهر، ورغم مرضه وضعفه إلّا أنّ قريحته للكتابة كانت قَوِيَة وزاد إنتاجه الشعري، فقد ألّف في تلك الفترة القصيرة: مجنون ليلى، وقميز، وعلي بك الكبير، والبخيلة، والست هدى، وفي مساء 13 تشرين الأول/أكتوبر عام 1932م أفلت شمس الشاعر المبدع أحمد شوقي، وسلّم الروح وسط ذهول الحاضرين عنده والذين حاولوا إنقاذه من ضيق النفس ونوبة السعال التي أصابته، وتلقى العرب في جميع الأقطار نبأ وفاة شوقي بالحزن الشديد، ونعته الصحف والمجلات، وظلوا يتحدثون عن شعره وعن حياته لفترة طويلة، كما ورثاه الأدباء والشعراء بكل ألم وأسى، وحين دُفن كُتب على قبره بيتان من قصيدة (نهج البردة) التي نظمها في مدح رسول الله ﷺ، إذ كان قد وصى بذلك قبل موته، وهذان البيتان هما16[19] يَا أحمدَ الخَيْرَ، لي جاهٌ بِتَسْمِيَتِي وَكَيْف لا يَتَسامى بالرَّسولِ سَمِيّ؟ إنْ جَلَّ ذَنْبِي عَنِ الغُفْرانِ لي أَمَلٌ فِي اللهِ يَجْعَلُنِي فِي خَيْرِ مُعْتَصمِ أبيات من قصائد الشاعر أحمد شوقي الأبيات الآتية من قصيدة (مضناك جفاه مرقده17 مُضناك جفاهُ مَرْقَدُه وبكاه ورَحَّمَ عُوَّدُهُ حيرانُ القلبِ مُعَذَّبُهُ مقروح الجفنِ مسهَّدُه أودى حرفاً إلا رمقاً يُبقيه عليك وتُنْفِدهُ يستهوي الوُرْق تأوُّهه ويذيب الصخرَ تنهُّدهُ الأبيات الآتية من قصيدة (هذي المحاسنُ ما خلفتَ لِبُرقُع18 ضُمّي قِناعَكِ يا سُعادُ أَو اِرفَعي هَذي المحاسِنُ ما خُلِقنَ لِبُرقُعِ الضاحياتُ، الباكياتُ، ودونَها ستر الجلالِ، بعدُ شأو الملطع يا دُمْيَةً لا يُستزاد جمالُها زيديه حُسْنَ المحْسِن المتبرّع ماذا على سلطانِه من وقفة للضَّارعين، وعَطْفةٍ للخُشَّع؟ الأبيات الآتية من قصيدة (ريم على القاع بين البان والعلم19 ريمٌ عَلى القاعِ بَينَ البانِ وَالعَلَمِ أَحَلَّ سَفكَ دَمي في الأَشهُرِ الحُرُمِ رَمى القَضاءُ بِعَينَي جُؤذَرٍ أَسَدًا يا ساكِنَ القاعِ أَدرِك ساكِنَ الأَجَمِ لَمّا رَنا حَدَّثَتني النَفسُ قائِلَةً يا وَيحَ جَنبِكَ بِالسَهمِ المصيبِ رُمي جَحَدتُها وَكَتَمتُ السَهمَ في كَبِدي جُرحُ الأَحِبَّةِ عِندي غَيرُ ذي أَلَمِ

معروف الرصافي

تعريف الشاعر: يعتبر الشاعر معروف الرّصافيّ واحداً من أشهر الشعراء والكتّاب العرب الذين شاركوا في ترسيخ قواعد الفكر الحضاريّ الحديث، حيث ترك وراءه إرثاً عظيماً تنوّع بين النثر، والشعر، واللغة، والأدب عامة، وقد أهّله هذا الإرث إضافة إلى التجارب الحياتيّة التي اكتسبها أثناء مروره بالعديد من البلدان لأن يكون خير مَنْ يقود راية الإصلاح والتجديد بين كتّاب وشعراء عصره، فقد أجاد الرصافي من خلال أشعاره التي كانت متميزة بالشكل

---

[19]16عبد المجيد الحر، أحمد شوقي، بيروت: دار الكتب العلمية، صفحة 75-78. بتصرّف.

17 أحمد شوقي، "مضناك جفاه مرقده"، www.adab.com، اطّلع عليه بتاريخ 2020-3-22. بتصرّف.

18أحمد شوقي، "هذي المحاسنُ ما خلفتَ لِبُرقُع"، www.adab.com، اطّلع عليه بتاريخ 2020-3-22. بتصرّف.

19أحمد شوقي، "ريم على القاع بين البان والعلم"، www.aldiwan.net، اطّلع عليه بتاريخ 2020-3-22. بتصرّف

والمضمون من وصف مظاهر الحياة التي عاشها شعبه، وبرع في نقل الأحداث التي مرّ بها عصره، سواء أكانت اجتماعيّة أم سياسيّة، وقد امتازت هذه الأشعار بالسلاسة، وظهر فيها اهتمام الشاعر بالقوافي الموسيقيّة وبصياغة الألفاظ.[20] حياة معروف الرصافي وُلد الشّاعر معروف الرصافي عام 1875م ببغداد في منطقة تسمى الرّصافة، وتلقّى دروسه الابتدائيّة في الكتاتيب، والمدرسة الرّشيدية، ولكنّه لم يستطعْ الحصول على الشهادة، فترك المدرسة والتحق بدروس العلّامة محمود شكلي الآلوسي، وخلال فترة تلقيه الدورس كثّف جهوده في دراسة علوم اللغة العربية والمنطق، وبعد أن أكمل الرصافي تعليمه، وأتقن اللغة العربيّة عمل محرراً في عدّة أماكن، ومن هذه الأماكن جمعية الاتحاد والترقي، ومجلة "سبيل الرثاء"، ثم انتقل بعد ذلك للعمل في مهنة تدريس للغة العربيّة في عدّة مدارس عراقيّة، ومنها السلطانيّة، والوعاظ.2 تقلّد الرصافي بعد ذلك منصب نائب الرئيس للجنة الترجمة والتعريب، وفي عام 1923م تولّى إصدار جريدة "الأمل" اليوميّة، واستمر في التنقل بين الوظائف المختلفة حتى أُسند إليه منصب المفتش العام في المعارف، وأصبح مدرساً للغة العربيّة وآدابها في دار المعلمين، ثمّ انتقل بعد ذلك لرئاسة لجنة الإصلاحات العلميّة، وفي عام 1927م استقال من جميع الوظائف الحكوميّة، وانتُخب عضواً في مجلس النواب العراقيّ خمس مراتٍ، وقد توفيّ الرصافي في مسقط رأسه في بغداد عام 1945م وقبل وفاته كتب وصيّته التي قال فيها: "كل ما كتبته من نظمٍ ونثرٍ لم أجعل هدفي منه منفعتي الشخصيّة وإنما قصدت به منفعة المجتمع3 شاعرية معروف الرصافي اكتسب الرصافي شهرة واسعة بلغت الآفاق بفضل القصائد والأشعار التي نظّمها، إذ لم يترك غرضاً من أغراض الشعر إلا وتناوله؛ فنظم شعراً في المدح، والفخر، والرثاء، والغزل، والهجاء، وعاصر الرصافي الشاعر جميل صدقي الزهاويّ وتبارى معه في الهجاء فترة من الزمن، وسعى للمزج بين العلم والأدب، وإلى نشر ما اكتسبه من نظريات وعلوم، ولكنّه لم ينجحْ في ذلك، إلا أنّه أجاد طرح المواضيع السياسيّة والاجتماعيّة، وصوّر ببراعة مشاهد الشقاء والبؤس وحالات الفقر التي كان يعاني منها المواطن العراقي، وكانت هذه الصور الشعريّة مستمدة من عمق الواقع الاجتماعي البائس آنذاك؛ فنادى بالتغيير، ونبذ الجهل، ونشر العلم، ومناصرة قضايا المرأة، والقضاء على التعصّب الطبقي والظلم، وإنصاف الطبقة البائسة، ورغم شعوره الوطني المتأجج إلا أنّ أسلوبه كان خالياً من العاطفة، وسعة الخيال، وقوة التعبير ورغم ثورته على كل قديم إلا أنّ هذه الثورة اتّصفت بالهدوء، وممّا قاله في هذا الصدد: "أمّا التقليد إن كان في الأمور العقلية قبيح فهو في المسائل الأدبيّة أقبح 4 المظاهر الأسلوبية في شعر معروف الرصافي تعدّدت المظاهر الاسلوبيّة التي استخدمها الرصافي في شعره، وفيما يلي عرض لبعضٍ منها5 الشعر القصصي أو الروائي تناول الرصافيّ القصة الشعريّة في شعره، ويرجّح الدارسون أنّ السبب في ذلك يعود لاعتقاده بأنّ صياغة الشعر على نحوٍ مباشر وتقريريّ، لتصوير الواقع وما يحدث فيه من مآسٍ لا يؤدي للنتيجة المرجوّة؛ الأمر الذي دفعه لنظم الشعر القصصي؛ ليحقق ما يسعى إليه لخدمة المجتمع وقضاياه، وقد منحت هذه الخطوة للرصافي الفرصة بأن يصبح رائداً لهذا النمط الأدبيّ، ومن العوامل التي ساعدت في

---

[20] 1ـ د/ محمّد شيخة، خطاب الواقعية ومقومات الفكر الحضاري في شعر معروف الرصافي، الجزائر: جامعة حمه لخضر- الوادي، صفحة 63-64.

2. Dr. Sainuddeen P.T (2017), READING MODERN ARABIC POETRY ، UNIVERSITY OF CALICUT - SCHOOL OF DISTANCE EDUCATION، صفحة 46-47..

3 ـ محمّد الباوي (2000)، عمالقة الأدب العربي المعاصر، القاهرة – مصر : دار الأرقم، صفحة 17.

اتّجاهه لهذا النوع الشعري تأثّره بالمذهب الواقعيّ، فكان دوره الإصلاحيّ كشاعرٍ لا يقلّ مكانةً عن دور المصلح الاجتماعيّ، وخاصةً أنّ قصص الرصافيّ كانت تتسم بالواقعية البعيدة عن الخيال؛ كونها مستمدّةً من البيئة التي عاش فيها، ومما سمعه ورآه بنفسه أيضاً، ومن هذا الشعر القصصيّ: قصيدة "الفقر والسقام"، و"المطلقة"، و"اليتيم في العيد"، وقد امتازت هذه القصص بالحبكة الفنيّة، والعاطفة الصادقة استخدام الألفاظ والتراكيب السهلة اتسمت الألفاظ والتراكيب في لغة الرصافي الشعريّة بالسهولة والبساطة التي تشبه إلى حدٍ بعيد مفردات الخبر الصحفيّ، وكانت هذه السهولة في لغته مظهراً من مظاهر التجديد في شعره، ولا سيما في الأغراض الشعريّة الجديدة التي تطرّق إليها، وتعتبر أبيات قصيدته "خواطر شاعر" مثالاً على ذلك، ونذكر منها ما يلي:[21] وللنَّفس في أفق الشعور مخايلٌ إذا برقت فالفكرُ من برقها قطرُ وما كُلُّ مشعورٍ به من شؤونها قديرٌ على إيضاحه المنطقُ الحُرُّ ففي النفس ما أعيا العبارة كشفهُ وقصَّر عن تبيانه النُّظمُ والنَّثرُ كما اهتم بدراسة اللغة العاميّة، وأدخلها في شعره بعد أن رأى أنّ اللغة وسيلة من أجل إيصال المعنى إلى المتلقي، فلا ضرر إن كانت فصحى أو عاميّة، ومع ذلك لم يدعُ الرصافيّ بترك اللغة الفصحى وإنما شجّع على التواصل بها والاعتماد عليها، لأنّه يرى أن الاعتماد عليها أصبح مقتصراً على ما نراه في المعاجم؛ مما أدّى إلى جمودها وضعفها وتوقفها عن النموّ مقارنةً بلغات الأمم الأخرى رغم ما تتّصف به من مزايا عديدةٍ افتقدتها اللغات الأخرى بيّن الرصافي في كتابه "تاريخ آداب اللغة العربية" السبب الذي جعله يعتمد على اللغة العاميّة في بعض شعره بقوله إنّ متطلبات العصر الذي يعيش فيه يحتاج إلى لغةٍ تتماشى معه، بحيث تتطور عبر مراحله المختلفة؛ فاللغة عنده هي أداةٌ تعبّر عن أفكار الناس وحاجاتهم الحياتيّة، ولا شك أنّ هذه الحاجات تختلف من زمن لآخر، ولهذا أصبح من الجائز عدم التقيّد بلغة من سبق وعاش في الزمن الماضي، بل أصبح لزاماً النهوض باللغة وتحريرها من الجمود بحيث تكون صالحة لحاجات وأفكار الحاضر التي تعبّر عنه، وقد اعتبر الدارسون رأي الرصافي هذا بمثابة دعوة للتواصل مع لغة حيّة تناسب العصر الذي وجدت فيه، وتكون قادرةً على احتواء أفكار جديدة، وأن تكون أيضاً قابلةً للتطوّر بالتزامن مع التطور الذي يطرأ على متغيّرات العصر. معروف الرصافي شاعر الاجتماع قام الرصافي الشاعر والمفكّر بدور المصلح الاجتماعي في المجتمع الذي عاش فيه؛ ناقداً للظروف الحياتية المحيطة به، وداعياً إلى إصلاحها، وقد أشارت الصحافة العربيّة إلى أنه مبتكر الشعر الاجتماعيّ، وذلك بعد نشر ديوانه الأول، ومن ملامح شعر الرصافي الاجتماعي ما يلي:[22] 6 المرأة حظيت المرأة بصورها المختلفة، سواء أكانت أمّاً، أم حبيبة، أم أديبة، أم امرأة محسنة تساعد الفقراء والمحتاجين، أم مناضلة تدافع عن وطنها بنظرة الاحترام والتقدير لدى الرصافي، حيث نادى في أشعاره إلى ضرورة رفع شأنها ومكانتها؛ باعتبارها النصف المكمل للرجل في المجتمع، ونظراً لأهمية المرأة البالغة عنده

---

[21] 4 – د. ساجدة خلف (2013)، "اللغة الشعرية لدى معروف الرصافي وأثر الإيقاع فيها "، سرمرى، العدد 38، المجلد 8، صفحة 127.

5 ـ سفانة سلوم (2007)، ظاهرة التمرد في أدبي الرصافي والزهاوي ، العراق: جامعة بغداد – كلية التربية– ابن رشد، صفحة151-152، 143-145

[22] 6 - "الأدب العصري في العراق العربي: القسم الاول (المنظوم) – "، https://www.hindawi.org/،

7 ـ د. كوثر كريم، م.م. منى حسن (2014)، "نظرات في نسائيات معروف الرصافي"، مجلة كلية التربية للبنات للعلوم الإنسانية، العدد 15، صفحة 423-428، 430- 432..

الرصافي أصبحت مصدراً لإلهامه، فقد كان يستمد منها أفكاره ونتاج شعره لأنّها برأيه بهجة الحياة، ومصدر للإبداع، ورمزٌ للجمال المطلق، فكان يصفها بأجمل الأوصاف، ويتغنى بها بأسلوب عاطفي غزلي بعيد عن الرومانسيّة الفلسفيّة بلغة مشوقة وصور شفافة، ومن أبرز هذه الصور صورة المرأة البائسة التي ظهرت في شعره بصورة حيّة ومؤثرة. 7 دعا الرصافي في شعره إلى النهوض في دور المرأة، حيث تكون عضواً فعّالاً في المجتمع العراقي، وأن تتبوأ فيه مكانة مرموقة كحال الرجل، كما أشار إلى ضرورة الدفاع عن قضاياها حتى تتمكن من الحصول على حقوقها كاملة، ومن أهم قضايا المرأة التي تناولها في شعره نذكر ما يلي: تعليم المرأة: نادى الرّصافيّ في العديد من قصائده إلى لزوم تعليم المرأة، وتحريرها من الجهل، وكان يهدف من دعوته هذه إلى تأهيل الأم وإعدادها إعداداً سليماً للقيام بواجباتها نحو أبنائها، لينشأ جيل متعلم واعٍ يسمو بالأخلاق والقيم العالية، ويساهم في رفع قدر الأمة ونهضتها، كما دعا إلى إتاحة الفرصة لها لاكتساب أكبر قدر من التعليم، لتستعين به لتوفير حياة كريمة لها ولأبنائها في حال تعرّض الزوج للمرض أو الموت، ومن الشواهد الشعريّة للرصافي في قضية تعليم المرأة نذكر ما يلي فحضن الأم مدرسة تسامت بتربذية البنين والبنات وأخلاق الوليد تُقاس حسناً بأخلاق النساء الوالدات وليس ربيب عالية المزايا كمثل ربيب سافلة الصفات اختيار الزوج: نادى الرصافي بوجوب منح المرأة الحرية الكاملة في اختيار الزوج الذي يتصف بالاستقامة، والصلاح، والخلق الحسن، كما يرى أنّ المرجع الرئيسي في دوام الزواج هو الحب والتراضي بين الطرفيْن، وقد وجّه من خلال شعره رسالة إلى الآباء الذين يفاوضون في مهور بناتهم، وخاصةً ممن يرغمن بالزواج برجلٍ كبير في السن من أجل ماله، ومن الشواهد الشعريّة للرصافي في قضية اختيار الزوج نذكر ما يلي بيت الزواج إذا بنوه مجدداً بالمال لا بالحب عادا مخربا أن الزواج محبّةٌ فإذا جرى بسوى المحبّة كان شيئاً متعبا العلم والجهل دعا الرصافي في قصائده إلى ضرورة التعلم ونبذ الجهل، واستشهد بأهمية العلم في المجتمع بتسليط الضوء على حضارة العرب وحكمهم للعالم عندما كان العلم ساطعاً ومنتشراً في أوطانهم في العهد الأموي والعباسي والأندلسي، ويجدر بالذكر أنّ الرصافي كان دائم السعي لشحذ الهمم للإقبال على العلم والتعلم؛ دائم التشجيع في طلبه؛ لأنّه يعتقد أنّ الدعوة إلى العلم هو إخلاص للوطن وخلاص للشعب، فكان يحتفل بافتتاح المدارس، وتكريم المعلمين والمتعلمين على حدّ سواء، كما كان دائم الذكر لفوائد العلم في رفع قيمة ومكانة الإنسان، وهو الضمانة في الحصول على حياة عزيزة، ومن خلاله يمكن للإنسان اكتشاف طاقته، وقدرته على الإنجاز، والاختراع، ومما قاله في الدعوة إلى العل[23]8 بالعلم تنتظم البلادُ فإنَّهُ لِرُقيِّ كُلّ مدينةٍ مِرْقاةُ وفي أبيات أخرى يقول: كفى بالعلم في الظلمات نورا يبيّن في الحياة لنا الأمورا فكم وجد الذليل به اعتزازًا وكم لبس الحزين به سرورا تزيد به العقول هُدًى ورشدًا وتستعلي النفوس به شعورا البؤس والفقر تحدّث الرصافي في الكثير من قصائده عن الموضوعات الاجتماعية، وبخاصّة موضوع الفقر، والحرمان، واليتم، وقد لقّب بشاعر البؤساء، ومن أبرز الأسباب التي كانت وراء تسميته بهذا الاسم ما يلي9 السبب النفساني: احتلّت والدة الرصافي منزلة عالية لديه، فبسبب تغيّب

8ـ حنا الفاخوري (1986)، الجامع في تاريخ الأدب العربي/ الأدب الحديث (الطبعة الأولى)، لبنان : دار الجيل- بيروت، صفحة 488-489، 497.

9 ـ إسماعيل نادرى، "معروف الرصافي محلّل اجتماعي للفقر والحرمان "، مجلة التراث الأدبي، العدد الثامن، صفحة 113- 114.

والده شعر باليتم المبكّر والحرمان، حيث عاش منذ سنواته الأولى وحيداً مع أمّه، مما زاد من تعلّقه وحبّه لها، فكان إذا غادر العراق يصبح قلبه متحرّقاً لفراقها، ومتشوقاً لرؤيتها، ومن الأشعار التي ورد فيها ذكر أمه ما يلي وطفقت أذكر العراق فعاد صفوى ذا كدور وذكرت من تبكي هناك عليّ بالدمع الغزير يا أم لا تخشى فإنّ الله يا أمي مجيري ودعي البكاء فإن قلبي من بكائك في سعير بيئة الشاعر: تعتبر البيئة العراقيّة الملاذ الأول للرصافيّ، وكان لها الأثر الواضح في شعره الذي عكس الكثير من الأوضاع التي عانى منها المحتاجين واليتامى في وطنه من فقر وحرمان، فكان يبذل قصارى جهده في تصوير ذلك في شعره؛ قاصداً استثارة مشاعر الآخرين، ومعالجة أوضاعهم، إذ كان يدرك أنّ الشاعر إذا تجرّد من إنسانيته أصبح شعره مجرد مهاترات لا فائدة منه، كما عُرِف الرّصافيّ بحساسيته العالية، ومن الأبيات التي عكست ذلك ما قاله في أرملة يُذكر منها ما يلي

لقيتها ليتني ما كنت ألقاها
تمشي وقد أثقل الإملاق ممشاها
أثوابها رثة والرِجْل حافية
والدمع تذرفه في الخد عيناها

معروف الرصافي شاعر الحكمة إنّ المتصفّح لديوان الرصافي يجد فيه قصائد كثيرة من شعر الحكمة، بحيث يظهر فيها الرصافي بمثابة المعلم والمرشد لأبناء وطنه، وإن كانت تنقصه الرؤية الفلسفية العميقة، والقدرة على التحليل النفسيّ إلا أنّ تلك الأشعار صيغت بعاطفة صادقة وهدف نبيل قصد منها الرصافي أن يلعب دور المفكّر، وقد كانت أشعار الرصافي في الحكمة متعددة الأغراض، معظمها كان منتشراً على ألسنة العامة من أصحاب الخبرة، وأهل المعرفة، وتعدّ هذه الأشعار مثالاً حيّاً على الطريقة التي كان يفكّر بها، والتي تعكس قناعته التامة بالمبادئ التحرريّة التي نادى بها، ومن هذه الاشعار نذكر ما يلي لَعَمْرُكَ مَا كُلُّ انْكِسَارٍ لَهُ جَبْرُ، وَلا كُلُّ سِرّ يُسْتَطاعُ بِهِ الجَهْرُ وَمَا النَّاسُ إلَّا خَادِعٌ أَدْرَكَ المنَى، وَآخَرُ مَخْدُوعٌ لَها غَيْرُ مُدْرِكِ معروف الرصافي وأدب الأطفال أدب الأطفال هو فنٌ أدبيّ حديث أدخله الرصافي في كتاباته، لغاية الخروج عن الأساليب التربويّة القديمة، لأنّه يرى أنّ رفعة ومكانة الأمة وتطورّها يأتي بإصلاح الأجيال الناشئة، وقد بيّن الرصافي في مقدمة كتابه "تمائم التعليم" أنّ الطفل يستمد ثقافته من مصدريْن، وهما: الأم والمدرسة، فإذا اكتسب ثقافته منهما بشكل سليم بقي على هذه الصورة مدى الحياة، وإن فشل أصبحت مهمة تعليمه صعبة، لأنّ عقول الأطفال –حسب اعتقاده– تكون قابلة للتعلّم، وقادرة على تلقّي المعلومات وفهمها، وبذلك يقول: إن الغصون إذا قوّمتها اعتدلت ولا يلين إذا قوّمته الخشبُ وقد صاغ الرصافي أبيات مختلفة من الشعر المدرسي في كتابه "تمائم التربيّة والتعليم"، وفي هذا الكتاب أورد قصيدة باسم "الأغنياء والفقراء"، ومن أبياتها يُذكر ما يلي أيها الناظر ذا الفقر بعين الازدراء. لا تزد بلواهُ من فعلك هذا ببلاء. إنه يكفيه ما يجرعُ من مر الشَّقاء. أنت تغدو بكساءٍ وهو من غير كساء. وشواء تتغذى وهو من غير غذاء. ديوان معروف الرصافي يُعدّ ديوان الرصافي من الموسوعات الشعريّة للعصر الذي عاش فيه؛ فقد تناول فيه قضايا هامة، ومنها: قضية أثر الطلاق الاجتماعي على المرأة، والاهتمام بالأطفال وخاصة الأيتام منهم، كما أشار إلى ضرورة إجراء إصلاحات سياسيّة، وطالب بالنهضة

والتطوّر، والحضّ على العلم، وفتح المزيد من المدارس، ودافع عن الدين الإسلامي مبيّناً رفضه لما نُسب إليه بأنّه كان عائقاً أمام التقدم، وورد في ديوانه رثاءً للعديد من الشخصيات، مثل: الشاعر أحمد شوقي، والحسين بن علي الذي أسماه بأبي الملوك[24]10 ومن الجدير بالذكر أنّ ديوان الرصافي نُشر لأول مرّة سنة 1910 في بيروت، وقد توزّع على أربعة أبواب، وهذه الأبواب هي: الكونيّات، والتاريخيّات، والاجتماعيّات، والوصفيّات، وعندما صدرت الطبعة الثانيّة في عام 1932 زادت أبوابه وبلغت أحد عشر باباً، وهي كالآتي: الكونيّات، والاجتماعيّات، والفلسفيّات، والتاريخيّات، والوصفيّات، والمراثي، والحريقيّات، والسياسيّات، والمقطعات، والحربيّات، والنسائيّات11

الأستاذ فتاني المولود

[24]10 ـ مصطفى الغلاييني (2014)، "ديوان معروف الرَّصافي".

11 ـ معروف الرصافي: حياته وأعماله، -: -، صفحة 90، **95**